تحليل الخطاب النقدي في مقالة (حنّا عيال البسّة) للكاتب الصحفي داود الشريان

إعداد

د. نجلاء سعد آل ظفير الشهراني
الأستاذ المساعد بكلية العلوم والدراسات الإنسانية بضرماء، جامعة شقراء، المملكة العربية السعودية
d.najlasaad@gmail.com

المستخلص:
يتناول هذا البحث تحليل الخطاب النقدي في مقال الإعلامي والكاتب السعودي داوود الشريان بعنوان **"حنًّا عيال البسّة"**، وهدف البحث هو الكشف عن أيديولوجيات لغة الخطاب في المدونة المختارة، ومعرفة قدرتها على فرض السلطة الاجتماعية؛ إذ تعتبر اللغة أحد أشكال الممارسات الاجتماعية التي تخلق السلطة الاجتماعية والسياسية، فهي الوسيط الفعلي في ترسيخ السيطرة والهيمنة والتحكم في قناعات المتلقين واتجاهاتهم؛ لذلك فاللغة والسلطة حسب هذا الاتجاه مرتبطان مع بعضهما ارتباطًا وثيقًا، ولتحقيق تلك الأهداف؛ اعتمد البحث على منهج التحليل النقدي للخطاب الذي يعد أحد الاتجاهات الحديثة في تحليل الخطاب بشكل عام؛ فاعتنى بالاستعمال اللغوي في الخطاب، وما يتوارى خلف الاختيارات اللغوية من أيديولوجيات ومضمرات تخدم مصالح السلطة وأهدافها في السيطرة على المتلقين وآرائهم وتوجيه سلوكياتهم، وأهم ما خلص إليه البحث أن البعد الخفي للخطاب النقدي دل على جانب سلطوي متسلط خفيّ يُوحي برغبةٍ لدى مستعمله في الهيمنة على ساحة الخطاب من خلال دعوة ضمنية للجمهور إلى التسليم بصحة ما يقال.

الكلمات المفتاحية: اللغة، الأيديولوجيا، تحليل الخطاب، السلطة، الإعلام، الإقناع.

"Henna Eial Albessah": A Critical Discourse Analysis of Journalist Daoud Al-Sharyan's Article

Dr. Najla Saad Al Dhafeer Al-Shahrani
Assistant Professor, College of Science and Humanities, Dhurma, Shaqra University, Kingdom of Saudi Arabia
d.najlasaad@gmail.com

Abstract:

This study examines the critical discourse analysis of the article ***"Henna Eial Albessah"*** by the Saudi journalist and writer Daoud Al-Sharyan. The research aims to uncover the ideological aspects of discourse language in the selected text and assess its ability to impose social authority. Language is considered a form of social practice that establishes social and political power, serving as a crucial medium for reinforcing dominance, hegemony, and influencing audience perceptions and orientations. From this perspective, language and power are intricately connected. To achieve these objectives, the study employs the critical discourse analysis (CDA) approach, which is one of the modern trends in discourse analysis. This approach focuses on linguistic usage in discourse and the underlying ideological implications embedded within linguistic choices that serve the interests of authority and its goals in controlling audience opinions and behaviors. The study's key finding reveals that the implicit dimension of the critical discourse indicates a hidden authoritarian aspect, suggesting a desire on the part of the speaker to dominate the discourse space. This is achieved through an implicit invitation to the audience to accept the validity of the presented discourse uncritically.

Keywords: Language, Ideology, Discourse Analysis, Power, Media, Persuasion.

المقدمة

التحليل النقدي للخطاب هو عملية تفكيك للغة إلى أجزاء للكشف عن وظائفها ودلالاتها؛ مما يتطلب دراسة خصائصها اللغوية والتركيبية والبلاغية؛ أي أن التحليل النقدي هو عملية دائرية، وهو أيضًا تحليلٌ يُعنى بقدرة المحلّل على التأويل عن طريق تخطّي المعنى الظاهر لصالح المعنى الباطن، ويُحدد أهداف الخطاب المدروسة ووظيفتها وأثرها، ويربط السبب بالنتيجة...إلخ.

وتُعد (المقالات الأدبية الحديثة) من الأعمال المُلفتة التي يمكن دراستها في سياق تحليل الخطاب النقدي؛ حيث تسمح للمحلّل بالكشف عن العلاقة بين السلطة والأيديولوجيا والخطاب فيها، ومن هنا نشأت فكرة تحليل الخطاب النقدي في مقالة **(حنّا عيال البسّة)** للكاتب الصحفي داود الشريان[1]، التي بَنى فكرته فيها على كشف الاقتصاد السياسي والأيديولوجيات العِرقية والطبقِيّة والنوع الاجتماعي والتربية والتوجهات من خلال النُظم الاجتماعية والأعراف الدارجة، فالصحفيون يشكلون "جزءًا من النخبة الثقافية المهيمنة الذين يسهمون دون قصد في الغالب في التعبير عن بنى السلطة الوطنية والدولية وإضفاء الشرعية عليها" (بكّار، 2012، ص ص445-446).

وتكمن **أهمية هذه الدراسة** في تضمنها لسياق تحليل الخطاب حسب ما يقول نورمان: "عندما ننظر للغة بوصفها خطابًا وممارسةً اجتماعية، فإننا نلتزم ليس فقط بتحليل النص وعمليات الإنتاج، ولكن بتحليل العلاقات بين النص والإجراءات، وظروفها الاجتماعية المتعلقة بظروف السياق والمتعلق بالظروف الأبعد خاصة بالتراكيب الاجتماعية والمؤسساتية" (الريامي، 2019، ص1409). ولعل من أهم جوانب هذه الدراسة ما يأتي:

- أن خطابات السلطة خطابات أُعدّت بعناية فائقة تكتبها مؤسسات تنضوي تحتها عشرات الخبرات من كافة التخصصات، وهذا ما جعلها نصوصًا جوهرية قابلة للتحليل والفهم.
- يقوم علم اللغة النقدي بتحليل العلاقات الهيكلية العلنية أو الخفية للهيمنة، والتمييز العنصري، والسلطة، وفهم عدم المساواة الاجتماعية؛ فاللغة وسيلة للهيمنة والقوة الاجتماعية، "وهي منظمة في خدمة إضفاء الشرعية على علاقات القوة" (خاني وطاهري وإيوكي، 2023، ص85). ويمتلك نص الشريان هذه المقومات التي تؤهله ليكون وجهةً للدراسة والتحليل.
- يُبرهن المقال على دعواه بواسطة تحليلات دقيقة لظواهره المتنوعة: اللغوية، والأيديولوجية، والبلاغية، والأدائية في الخطاب.

ولدى هذه **الدراسة تساؤلاتٍ عدة** لعل أبرزها:

1. كيف يمكن للخطاب أن يصنع الواقع ويصور الوقائع؟
2. ما استراتيجيات الخطاب النقدي التي جعلت المقال المختار للدراسة يمارس السلطة والأيديولوجيا في الخطاب؟
3. ما التحليل النقدي المناسب في دراسة مثل هذه النصوص في وسائل الإعلام والتواصل؟
4. كيف أثرت لغة الخطاب المستخدمة على استجابات الجمهور في اتجاه معين يرغبه الكاتب؟

ومن **أسباب اختيار** هذا الموضوع:

1. افتراض أنه لا يوجد خطاب محايد؛ إذ الخطاب أيديولوجي بطبيعته، تحركه السلطات التي تسعى إلى السيطرة على المتلقين وإخضاعهم وتوجيههم الوجهة التي تخدمها.
2. السعي إلى الكشف عن الأدوات الاستراتيجية واللغوية المتصلة بالألفاظ والعبارات والتراكيب.

---

[1] داود عبد العزيز محمد الشريان مولود في 17 ذي الحجة 1373هـ-15 أغسطس 1954، إعلامي وصحافي ومقدّم برامج سعودي.

3. ثراء المقال بالعناصر اللغوية والتأثيرية التي يمكن بواسطتها رصد الاستعمال التواصلي للغة بين المرسل والمتلقي.
4. اختيار مقال واحد للتأكيد على وحدة الموضوع وترابط العناصر اللغوية والدلالية.

ويهدف هذا البحث إلى تقديم وصف صريح ومنظَّم للخطاب اللغوي في مقال **(حنِّا عيال البسّة)** من منظور تحليل الخطاب النقدي ليحقق الأهداف الآتية:

1. دراسة نص أدبي حديث من منظور نقدي جديد.
2. الكشف عن استراتيجيات الخطاب النقدي في خطاب الشريان عينة للدراسة.
3. دراسة الروابط والعلاقة بين استعمال اللغة والممارسة الاجتماعية في عينة للدراسة.
4. السعي لفهم العمليات المعقدة التي تمارسها السلطة والأيديولوجيا في الخطاب المقدم في عينة للدراسة.
5. إظهار تأثير سياق النص (الوحدات اللغوية) والسياق المقامي (العوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية والتاريخية والمعرفية) على الخطاب في عينة الدراسة.

يعتمد البحث في **منهجه** على منهج ونظرية نورمان فيركلاف في تحليل الخطاب النقدي، وتكمن أهمية هذا المنهج في مناسبته للهدف الذي يسعى إليه البحث في تحليل الخطاب المختار بشكل أكثر شمولية مع الوقوف على أهم ما يكشف النص من الجانب اللغوي والاجتماعي، وانعكاس السلطة، وفيه سمات لغوية تجعل قوته الخطابية تزداد وضوحًا وتأثيرًا.

وعن **خلفية البحث**، فلا يفوتنا أن ننبّه على أن هذا البحث فيه نوع من الجدَّة؛ إذ إن الدراسات التطبيقية في هذا المجال محدودة، فلا نكاد نعثر إلا على القليل مما شابهها، مثل:

1. **التحليل النقدي للخطاب الإعلامي (قضية خاشقجي بين الترائي والتوراي أنموذجًا)**، لعائض محمد الأسمري، وأشواق محسن الثقفي، جامعة الأزهر حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، مج24، ع12، 2020، ص ص11803-11854.
2. **التحليل النقدي لخطاب أصحاب الكهف في القرآن الكريم على أساس نظرية نورمان فيركلاف**، لفاطمة حسن خاني، وإحسان إسماعيل طاهري، وعلي نجفي إيوكي، مجلة دراسات في اللّغة العربيّة وآدابها، السنة 14، ع37، 2023، ص ص79- 108.
3. **تحليل الخطاب النقدي النسوي: محاولة لصياغة خطاب نسوى تطبيقي**، لازار، ميشيل م، ترجمة: أحمد الشيمي، مجلة فصول، مج3/26، ع103، 2018، ص ص1121-144.

واقتضت طبيعة البحث ومنهجه تقسيمه على أربعة مباحث يضم كلٌّ منها عناوين فرعية، وهذه المباحث ستدرس مستويات الخطاب كالتالي:

المبحث الأول: المستوى المعجمي.
المبحث الثاني: المستوى التركيبي.
المبحث الثالث: المستوى البلاغي.
المبحث الرابع: المستوى الإعلامي والجماهيري.

ثم خاتمة بأبرز النتائج التي توصل إليها البحث، وأخيرًا قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

من الصعب عزل الخطاب عن بيئته التي ولد فيها، فهو فعلٌ إنسانيٌ محض لا يتحقق تفسيرهُ إلا بأبعاده التاريخية والاجتماعية والأيديولوجية والثقافية، وهي أدواتٌ تساعد على تجلية المضامين الخطابية على المحور الدلالي السطحي، وتَفعَلُ فعلها الخفيّ، وبذلك تُعطي درجة عالية من مصداقية التأويل والتحليل الخطابي.

ولعلّ أبسط تحديد للخطاب ما تضمّنه (معجم مقاييس اللغة) لابن فارس (1997) وفيه عرّف الخطاب من "(خطب) الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطابًا" (198/2). وجاء في الكلّيات للكفوي (1998) أن الخطاب هو" اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه احترز (باللفظ) عن الحركات والإشارات المفهمة بالمواضعة و(المتواضع عليه) عن الألفاظ المهملة، و(بالمقصود به الإفهام) عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يُسمى خطابًا" (ص419). فليس الخطاب إذن كلامًا سائبًا، وإنّما هو كلام له مقصديّة، وهو يقتضي اللفظيّة أو التلفّظيّة؛ أي أن يكون كلامًا جاريًا بين طرفين ويقتضي التواضعَ والتعاقدَ بينهما.

وقد حدده (نورمان فيركلاف) المؤسس الأبرز لمدرسة التحليل النقدي للخطاب بأنه "تحليل للعلاقات بين الخطاب – يتضمن اللغة وأشكال سيرورة المعنى الآخر كالتعبير بالجسد والصور المرئية – والعناصر الأخرى في الممارسات الاجتماعية" (الأسمري والثقفي، 2020، ص11818). بينما قال عنه (فان ديك) أحد رواد مدرسة التحليل النقدي للخطاب بأنه "دراسة الكيفية التي يقوم بها النص والكلام بتقنين وإنتاج ومقاربة اعتداءات السلطة الاجتماعية وهيمنتها ولا مساواتها، وأن المحلّل الناقد للخطاب يسعى إلى فهم اللامساواة الاجتماعية والكشف عنها؛ تمهيدًا لمقاومتها" (روث ومشيل، 2014، ص7). ومن ثم يكون الهدف العام من التحليل النقدي للخطاب هو توعية الناس بالعلاقات والتأثيرات المتبادلة بين البُنى اللغوية، والبُنى الاجتماعية والكشف عن عدم المساواة بين فئات المجتمع الواحد من خلال التمييز العنصري والطبقي.

ويتضمن التحليل النقدي للخطاب عنصرين أساسيين هما "اهتمام سياسي يقل أو يكثر باشتغال الإيدلوجيا والسلطة في المجتمع، واهتمام خاص بالكيفية التي تسهم وتدعم وتكشف من خلالها اللغة ذلك الاشتغال" (الملاخ، 2019، ص299). ومن هنا يتضح كيف يتم انتزاع اللغة من غايتها الحقيقة الاعتيادية ووضعها في قوالب غير اعتيادية للوصول إلى الحتمية اللغوية السياسية، وتوظيفها لخدمة أغراض السلطة.

ونخلص من ذلك إلى أن الخطاب يتعدى الجمل الاعتيادية القابلة للفهم من متلقٍ يتضمن الإخبار بمألوف وغير مألوف لتعابير مقيدة بوظائفها الاجتماعية، والأيديولوجية، متعددة المعاني تحفل بها سياقات متعددة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بلحظة انتاجها، وبذلك يؤدي دورًا تحريريًا تنويريًا؛ لأنه يحرر العقول ويبصرها بأشكال السلطة والهيمنة، وهذه هي وظيفته التأثيرية التي يسعى بها إلى توجيه جمهور المتلقين إلى وجهة معينة.

المبحث الأول: المستوى المعجمي

إن تحليل الخطاب له علاقة باللغة والأسلوب الذي يستخدمه الكاتب، والقناعات والأفكار التي يحاول أن يوصلها للقارئ. فنحن عندما نقرأ؛ نقرأ لمحاولة التفكير النقدي بمفهومه الواسع الإيجابي والسلبي، ومحاولة فهم ما وراء النص وهو ما يعطيه أبعادًا أعمق، ومفردات الخطاب المستعملة إما أن تكون واضحة وصريحة، وإما أن تحمل في طياتها دلالات مبطَّنة تسعى بها إلى توجيه جمهور المتلقين بطريقة معينة لتخدم أهداف السلطة ومصالحها؛ ولذا "تكمن الأهمية الأيديولوجية للنص في مفرداته ذاتها" (فيركلف، 2016، ص156).

ويُعيننا هذا المبحث في (المستوى المعجمي) على فهم صناعة لغة الخطاب وتشكُّلها واختياراتها،

ومن ثم فهم تأثير اللفظ وبنيته على المتلقي، ونبين ذلك من عدة جوانب:

1. ألفاظ العنوان ودلالاته:

تُعد عتبة العنوان أول عتبة يواجهها القارئ، فهي نقطة بدء الرسالة ومصب اهتمامها، و"كثيرًا ما يتحكم العنوان في تأويل المتلقي، وكثيرًا ما يؤدي كذلك تغيير عنوان نص ما إلى تأويله وفق العنوان الجديد" (خطابي، 1991، ص60)، فحين يسمي الشريان (2023) مقالهُ بـ"حنِّا عيال البسّة" (ص23) فإنه يتعاطى مع قضيته مُبديًا موقفه الخاص، فضلًا عن كونهِ ناقلًا للخبر، ومثيرًا لانتباه القارئ بطريقةٍ رمزية، فالعنوان يشير إلى وصف حال المتكلم بضمير الجمع (حنّا) المشبه بعيال البسّة، والبسّة كلمة عامية تطلق على الهرّة؛ إذ يشعرنا هذا العنوان في الوهلة الأولى بطابع خاص للمشبه بهم، وبيئة معينة تخصهم دون غيرهم؛ مما يثير فضول القارئ ليبدأ قراءة النص، باحثًا عن معنى التشبيه ودواعيه ووجه الشبه فيه من خلال دلائل الخطاب؛ ليتصور العلاقة بين المجتمع والسلطة بواسطة العنوان. وبهذه الرمزية تمكَّن الشريان من العبور بالعنوان من الدّلالة التصريحيّة إلى الدلالة الإيحائيّة لما يقصده، ويتضح بعد ذلك في ثنايا النص.

واختار المؤلف هذا العنوان بوصفه جزءًا من مقالاته الأخرى المتنوعة العناوين؛ ليدل به عليها، ومن هنا أعطى الشريان أهمية خاصة للعنوان؛ إذ يحمله هدفًا يريد إيصاله إلى القارئ، أضف إلى ذلك أن دلالة العنوان ومصطلحاته "تبرز ملامح المعجم الذي سيستعمله في بقية المقال" (عبيدي، 2016، ص196)، كاستخدامه اللهجة العامية في: (حنِّا) بدلًا عن (نحن)، و(عيَال البسّة) بدلًا عن (أبناء القطة)، وهي منهجية رائجةٌ بوضوح في مجمل خطابه. وربما يوحي العنوان في دلالاته أيضًا إلى الطابع العام لجمهور المتلقي المتسم بالشعبية والانقياد والاتباع، ونشير إلى ذلك بالتفصيل في موضعه. وكذلك الإحالة بضمير الجمع الحاضر (حنَّا) ودلالته على حضور هذه القضية وعمومها وشمول حكمها على المتكلم أيضًا، وإشارته إلى وقوع الضرر على المتكلم وشعوره بخيبة الأمل لاشتراكه في ذلك الحكم.

2. استعمال الألفاظ العامية والأجنبية المتداولة:

يتجلى في النص توظيف اللهجة العامية والألفاظ الأجنبية الشائعة المتداولة في الاستعمال اليومي بين حين وآخر، مثل (عيال البسّة/ البساس، الشياكة، موتيلات شعبية) (الشريان، 2023)، فحين يوظِّف الشريان اللهجة العامية في خطابه لنقل فكرته ومعرفته، فهو غالبًا ما يسعى لكسب ثقة جمهور المتلقين، ذلك أن "الخطاب الصحفي قد حقق خاصية التبسيط في اللغة؛ بحيث يفهمها أكبر عدد ممكن من القراء، وزودها بالحيوية الكافية والتجدد حتى لا يضيق صدر القراء، وطورها حتى تتسع للتعبير عن كل جديد أو مستحدث في الواقع الاجتماعي والثقافي" (التميمي، 2019، ص99). فعدول الكاتب عن اللغة الفصحى إلى اللهجة الدارجة ما هو "إلا محاولة منه لتجذير خطابه في صلب المجتمع ومس كل شرائحه المثقف وغير المثقفة" (عبيدي، 2016، ص199)؛ حيث تسهم العامية في ارتباطها بالفكرة المرجوة من المقال.

وبهذه الخاصيّة يكشف الكاتب عن ارتباط فكرة (السلطة) التي يراد عرضها وبيانها بالتعبير عنها بواسطة بُنيَة الخطاب المعجمية، فقوله: "عيال البسّة" (ص23)، ووضع القطط لصغارها في (موتيلات شعبية) يُلمِح إلى المناورة بين الكاتب والسلطة، وتعتبر هذه المناورة ذات أهمية أيديولوجية تدعم موقف السلطة؛ لتسير بها نحو هدفها؛ ولذا قال الشريان (2023) في نهاية الفقرة: "من هنا صار الناس يقولون في بعض الأحيان: (فلان ابن الكلب) كناية عن القدرة والعز والذكاء وغير ذلك من الأوصاف خمس نجوم" (ص23)، فيكون قول الناس السائد: (فلان ابن الكلب) عزةً وذكاءً؟! ولأن المعنى يخدم السلطة؛ استخدمت العامية وسيلة لمدِّ السيطرة والسلطة على المتلقي.

3-استعمال الألفاظ ذات الدلالات المتعارف عليها في السياق الاجتماعي والنفسي

بعد قراءة النص يظهر لنا أن الشريان يتماهى في الفكرة المراد إيصالها باختيار واعٍ، فقوله مثلًا: (عيال البسّة) تشبيه فكاهي، إلا أنَّ دلالاته تتناسب مع طبيعة العلاقات والطبقات الاجتماعية ودلالاتها؛ حيث شبَّه شعوب العالم الثالث بأبناء القطط، فنشأة القطط المذكورة في المقال وكيفية تربية أولادها باحثة عن الأمان لا غير كيفما كان، كمكان عيشهم المتنقل، هي حال شعوب العالم الثالث في معاملتهم بمستويات غير لائقة، دون أدنى رفاهية وراحة، مقابل الأمن الذي تدّعيه. وهنا يربط الشريان حالةً منطقية بحالةٍ منطقية مُعاشَه لتصور الواقع بصورة عقلانية اجتماعية يعيها المتلقي، ويفهم حقيقتها؛ لأن "القيمة العقلانية تتعامل مع العلاقات الاجتماعية" (خاني وطاهري وإيوكي، 2023، ص87). فالاستعانة بالصور العقلانية شَكلٌ من أشكال التلاعب بالألفاظ التي عبَّر عنها "كلٌّ من نورمان فيركلاو، وإزبير لافير كلاو بـ: (العقلنة)؛ التي تعتمد على أسباب زائفة وغير جديّة؛ إذ يحاول المرسِل من خلالها أن يكون مقنعًا من الناحية العقلانية" (القايد، 2012، ص58)؛ بهدف إعادة إخراج الصورة بشكل مؤثر ومقنع باستعمال لغوي عقلاني، وغالبًا ما ينجح هذا الأسلوب اللغوي؛ لما فيه من إعمال للذهن، فضلًا عن الفهم والتأويل.

وهناك دلالات أخرى استعملت في السياق الاجتماعي والنفسي مثل:

- **ألفاظ دالة على الخوف** في بعض الألفاظ مثل (أَحسّتْ): للدلالة على **عمق الخوف** وعدم القدرة على التفكير في المقاومة فمجرد الاحساس يعني الخوف والهروب من المواجهة.

-**ألفاظ دالة على السعادة والطمأنينة** (خمس نجوم – موتيلات): في سياق يشير إلى الرفاهية والدعة والهناء إشارة إلى أن الحياة التي تعيشها الكلاب كالراحة والسعادة فضلًا عن الأمن، مقابل الجوع والقلة وانخفاض مستوى المعيشة في أقل مستوياتها لأبناء القطط. وفيها دلالةٌ أيضًا على قدرة الكلاب وعزتها وذكائها، بينما تُشير حياة القطط إلى اكتفائها بكفاف العيش والذل والحاجة.

-**ألفاظ دالة على الأمن**، فقوله: "البلاد المتخلفة تهتم بالأمن وتفرط فيما سواه تمامًا كما تفعل القطط، أما البلاد المتقدمة فإنها تهتم حتى بالتفاصيل وتجمَّل هذه التفاصيل بتعبير يقال له الرفاهية.." (الشريان، 2023، ص24) يشير إلى دلالات الأمن والسكينة والاستقرار وتأثيراتها الاجتماعية والنفسية؛ إذ إن تصرف كل مجتمع ينعكس على صحة أبنائه وسلوكهم، فأبناء الكلاب يتمتعون بصحة جيدة وأجسام كبيرة، بينما يتسم أبناء القطط بالهزال وصغر الحجم...إلخ من الصفات والسلوكيات الاجتماعية الدالة على طبيعة التنشئة في كل منهما. "وتجمّل هذه التفاصيل بتعبير يقال له الرفاهية.."، فهي لا تسعي إلى الكمال والتمام وإتقان الأعمال فحسب، بل (تجمِّل)...وبذلك ظهرت الرفاهية والدعة على أجسام الكلاب وصحتهم الجسدية والنفسية، وامتد أثرها إلى سلوكهم.

-**ألفاظ تستعمل في دلالاتها على التعميم والأمور المُسلم بها**، وذلك باستخدام الألفاظ العائمة، وهي ألفاظ تستخدم لكسب ثقة المتلقي، مثل (الشهرة، ألفاظ السياحة، صار الناس، خبراء السياسة، أساليب تعامل الدول الغربية، معرفة الغربيين، تاريخ العلاقة، خوف ممتد). والغاية من ذلك إسباغ الجديّة

على الخطاب، وإظهار القصد، ووجود هدف لدى الكاتب؛ مما يجعل هذه الأمور من المسَلمَّات. والمعاني المُسلم بها تدعم السلطة وتقويها، "وهذه العبارات وما شاكلها تحمل في الواقع جانبًا متسلطًا خفيًّا يُوحِي برغبةٍ لدى مستعملها في الهيمنة على ساحة الخطاب، من خلال دعوة ضمنية للجمهور إلى التسليم له بصحة ما يقول، من باب كونه عالمًا بأمور يُفترض أن يعلمها الجميع" (الزليطني، 2014، ص19).

4-استعمال الألفاظ الدالة على السخرية والتشاؤم:

استخدم الكاتب عددًا من الألفاظ الساخرة التي بدورها "تُمثل تقييمًا أيدلوجيًا" (كرمي وشيرازي، 2024، ص180)، من ذلك:

- دلالة بعض **الألفاظ على القمع والتجويع والفقر والبطالة**...فمع (عيال البسّة) تظهر النظرة السلبية للطرف الآخر في خطاب الشعب بواسطة الإحالة على أفعالٍ خاصةٍ، من شأنها أن تحث المستمع على مواجهته والتصدي لحكمه، كـ(يُعاملون بمستويات متدنية، الهُزال، وصغر الحجم، الخنوع...إلخ) (الشريان، 2023).

- دلالة الكلب في سياقها الاجتماعي على الشتم والقوة أيضًا، ودلالة القطط على القلة والضعف والهوان، حسب النسق الاجتماعي المتداول والشائع في الاستعمال اليومي لدى العامة، وفيه أيضًا إلماحٌ إلى **التهوين** من شأن مجتمع القطط **عيال البسّة** حسب سياقها على السخرية والإقلال من شأنها، ودليلُ ذلك قلة وامتهان مكان عيشها (موتيلات شعبية)، فهم "يحصلون على قوتهم بالخداع والفهلوة" (الشريان، 2023، ص24). وهذه مؤشرات تكشف عن مكانة الشخصيات المقصودة، وتبيّن لنَا من تؤول إليه السلطة أخيرًا!

- ومن دلالات **السخرية والتشكيك** في المنزلة المستعملة في المقالة **"من أيام سفينة نوح"** (الشريان، 2023، ص25). دلالةً على امتداد وعمق فكرة (عيال البسّة)، وأنها فكرة أصيلة، وغير مقبولة منذ ذلك الزمن، وهذا يقود المتلقي إلى التصديق والاقتناع بها، ويؤكد استمرارية وحقيقية فكرة الكاتب (نقاش مبدأ السلام والتعايش بين القطط والكلاب) وأصالتها، واستمرار بقائها؛ لأنه كما قال أصبحت: "منهج عيال البسّة" (الشريان، 2023، ص25). "فالكاتب بالاستخدام المتعمد للمفردات السلبية يسوق المخاطب إلى التنبيه على شدة استياء الناس من الظروف المحيطة بالمجتمع" (كرمي وشيرازي، 2024، ص182).

وتحديد دلالات السخرية والتهوين كاختياراتٍ لُغوية داخل الخطاب رصدت المضمون الأيديولوجي الضمني فيه وأبرزته، مدعمةً إياه بالسلطة "تعبيرًا عن القدرة من قبل المتحكمين بالأمور للمحكومين عليهم، بأنه ليس أمامهم إلا الخضوع والاستسلام" (كرمي وشيرازي، 2024، ص180)، باعتبار أن اللغة جزء من الحياة الاجتماعية لا يمكن اختزالها، وبينها وبين عناصر الحياة الأخرى علاقة منطقية جدلية.

وبعد تأمل الألفاظ السابقة ودلالاتها على المستوى اللغوي للخطاب في نموذج الدراسة، يمكننا القول إن دلالات هذه الاختيارات في سياقها الواردة فيه "تحمل في الواقع جانبًا متسلّطًا خفيًّا يوحي برغبةٍ لدى مستعملها في الهيمنة على ساحة الخطاب من خلال دعوة ضمنية للجمهور إلى التسليم له بصحة ما يقول من باب كونه عالمًا بأمور يفترض أن يعلمها الجميع، وأنها مفروغٌ منها، ولا تخفى على أحد" (الزليطني، 2014، ص19).

المبحث الثاني: المستوى التركيبي

في هذا الجانب سنعتني بتحليل الصيغ والتراكيب اللغوية كالجمل بأنواعها وصيغها، وتحليلها بطريقة شكلية، ودراسة البنية السطحية؛ إذ إن كل نمط تركيبي يرتبط بقيم أيديولوجية تعكس تصورات معينة هدفها تصوير واقع معين للأحداث. والأشكال النحوية في أي لغة من لغات العالم تتولى "تشفير الأحداث أو العلاقات وظروفها المكانية والزمنية وأسلوب وقوعها" (فيركلف، 2016، ص165). ومن تلك التراكيب والصيغ الآتي:

1- دلالات الجمل:

- اختيار صيغة الاسم، والجملة الاسمية، والملاحظ أن اختيار صيغة الاسم جاءت على نسق التضاد أو المقابلة في عموم المقال من ذلك: (بارد، حار/ قذر، نظيف / طريقة الكلاب، طريقة القطط/ مجتمع متخلف، مجتمع متقدم / صحة جيدة، وأجسام كبيرة، الهزال وصغر الحجم)، وفي أحيان أخرى يأتي على شكل الترادف المعنوي أو تكرار الاسم بصيغ أخرى، كـ (متدنية، وغير لائقة / الدعة، والشياكة / النظافة، والقدرة / العزة، والخنوع / احتراف السرقة، والعيش عالة على الناس / المطلب، والهاجس) (الشريان، 2023).

وتُسهم الصياغة الاسمية بجعل الأحداث في وضع ساكن ومستقر، كما يترتب عليها إخفاء الأدوار الفاعلة، ولعل ذلك من الرمزية التي يهدف إليها الشريان، وهذا ما عُرف باستراتيجية التحول الاسمي التي تُسهم في إخفاء الدور البشري ومسؤوليته، والاتكاء على مثل هذه المفردات والجمل غير المحددة كـ(القدرة، والعزة، والذكاء...إلخ) (الشريان، 2023)، فجميعها جُملٌ وعباراتٌ إنشائية من الممكن أن تُفسر عدة تفسيرات، وفقًا لما يتراءى للسلطة الحاكمة والغالبة في الخطاب. فضلًا عن أن من خصائص الجملة الاسمية أنها تسهم في اختزال المعنى وفقدان زمن الحدث، وهذا مما يجعل المعاني أكثر ثباتًا وديمومة (فيركلف، 2016)، وبذلك تكون فكرة الشياكة والنظافة والعزة.. متقبَّلة في ذهن القارئ لأولاد الكلب، وبعيدة كلَّ البعد عن أبناء القطط، وهذه من دواعي اقناع المتلقي.

2- دلالات الصيغ:

هناك صيغ عديدة ومتنوعة لها أثرها في بنية الخطاب النقدي في نموذج الدراسة، وسنقف على بعضها لنكشف عن دلالاتها في سياقها الواردة فيه، ومنها:

- صيغ الفعل المضارع؛ إذ يطغى حضوره على معظم الخطاب، فهناك تكرار لافت يربو على خمسين صيغة دالة على المضارع، كـ (تشتهر، تهتم، تحب، تتعاطف، تنقلهم، يكون، يقولون، تتصرف، تضع....) (الشريان، 2023). ولهذا التكرار دلالته الخاصة، فحين يختار الكاتب صيغة الفعل المضارع فهو يدل على تجدد الحدث واستمراريته في الحاضر والمستقبل؛ "مما يضفي على الخطاب صفة الحقيقة المستمرة" (القايد، 2021، ص66). كما أن استخدام الفعل المضارع يضفي الطابع الأيديولوجي على الخطاب؛ إذ يُوهم جمهور المتلقين ويشعرهم بدلالة الاستمرارية والتجدد لحال أولاد الكلب، وحال أبناء القطط، على اختلاف تلك الأحوال وتضادها، وهذا ما يهدف إليه الكاتب.

- صيغ المبني للمفعول (المجهول) كقوله: "يُقَال له الرفاهية، يُنفق عليهم بسخاء" (الشريان، 2023، ص24). فاختيار صيغة البناء لغير الفاعل أحد أبرز الحيل التي تستعين بها السلطة في إخفاء الفاعل، وتحويل جهة الخطاب من طرف محدد إلى طرف آخر غير محدد يُضفي على المتلقي نوعًا من الضبابية والغموض والإشكالية، فكأن ما يحصل مع أولاد الكلب من رفاهية ودعة حدث غامضٌ لا يُفهم مصدره وسببه، ولا يُقدر عليه لغموضه وسطوته.

- صيغ التوكيد، فقد لوحظ استخدام المؤكدات في المقال المتناول بالدراسة كـ(لقنا إن الكلاب تضع..، وقد استعارت...)، فتكرار استعمال (اللام، وقد، وإن..) (الشريان، 2023)؛ لإفادة أن الكلام والأخبار المنقولة حقيقةٌ ثابتةٌ، ويتمثل الدور الأيديولوجي في الاستعانة بالتوكيدات لتكشف معاني حقيقية، وبذلك يكون "صاحب الخطاب مُصدِّرًا للخبر، عالـمًا به مدركًا لتفاصيله وحيثياته، ويكون المخاطَب متلقيًا

ينتظر من صاحب الخطاب أن يمده بالمعلومة الوافية" (الزليطني، 2014، ص18). وبهذا الاعتبار يصبح مُنتِج الخطاب متحكمًا في الموقف، ومهيمنًا عليه، وهذا ما يلمسه القارئ.

- **صيغ النفي** في قوله: (لا تهتم، ولا يهم، لم يغيبا، لا مجال عندها) أربع مرات فقط في الخطاب كاملًا، في حين صِيْغ مجمل الخطاب بالجمل المثبتة والمؤكدة بأكثر من صيغة، فهو، مقارنةً بما سبق، لا يكاد يُذكر، فإشباع الخطاب بالجمل الخبرية، والمؤكدات، والصياغة الاسمية...، وتقليل استخدام النفي، مَنَح الخطاب خاصيّة ثبات الفكرة وتمكُنِها؛ لتكون من المسلمات ذات الأهمية الأيديولوجية التي تدعم موقف السلطة، فضلًا عن تميّز صيغ الإثبات بقدرتها في التعبير عن أداء السلطة وقدرتها وتمكنها في الخطاب، وترسيخها في نفس المتلقي. (فالبسس **لا تهتم** بمشاعر أولادها، **ولا يهم** أن يكون هذا المكان.." (الشريان، 2023، ص23). والتعبيران "عيال البسّة وعيال الكلب" **لم يغيبا** عن أذهان خبراء السياسة، **ولا مجال** عندها لمناقشة مبدأ السلام"(الشريان، 2023، ص25). فجميع ما سبق يقرر تمكن سلطة الآخر (أولاد الكلب) وهيمنتهم في الخطاب، فضلًا عن تقرير معنى الطبقية، وذلك مما أعان على تشكل لحُمة فكرية تامة تعبر عن فكرة الكاتب.

3- دلالة الضمائر:

تعكس الاستراتيجية الإحالية للضمائر تقييم واضع الخطاب للأحداث وفهمه لها، وتبين موقفه مما يقع، والبعد الأيديولوجي المقصود؛ ولذا كان من أبرز الضمائر التي استخدمها الكاتب كسلطة في خطابه ما يأتي:

- استعمال **ضمير الجمع** للمتكلم (نحن) وبالعاميّة (حنّا) في قوله: (حنّا عيال البسّة) بدلًا عن (أنا أو أنتم أو هم)؛ لأن التعبير بضمائر الجمع يُعبّر عن الكاتب والقارئ، وبهذا يغدُو الخطابُ عامًا، وكأنه صدَر من الجميع، وهذا ما نلمسه في عدد من الجمل كـ"أردنا أن نستخدم لغة السياحة، لقلنا، من هنا نجد" (الشريان، 2023، ص23-24)؛ ليشعرنا الكاتب أن هذا الخطاب نشأ على ألسنة الجميع، بل هو يعبّر عنهم في الحقيقة.

ووُظِّفَت هذه الإحالة داخل الخطاب؛ لتؤسس علاقات انسجام مع الطريقة التي يُمثِّل بها الكاتب البُعد الاجتماعي والأيديولوجي لفكرة الطبقية التي يحاول الكاتب إبرازها للمتلقي.

- **الإحالة بضمير الغائب**، فنجد أن الكاتب يلجأ لاستعمال ضمير الغائب بدلًا عن ضمير المتكلم، كما في: (لا تهتمُ بمشاعر أولادها، أحسَّت أنهم، لا يهم أن يكون، تعاملها معهم، شعوبها...) (الشريان، 2023، ص23-24-25). واستعمال ضمير الغائب يُوحي بأن المتكلم في موقع الراصد للأحداث والشخصيات وأفعالها، وليس جزءًا منهم، وذلك ينمُّ عن موقفه الرافض للفكرة، ويؤكِّدُ هذا المعنى أن عددًا من الجمل الخبرية التي استخدمها الكاتب يسبقها تعبير الغائب، مثل: "إذا أحسوا أنهم يعاملون" أو "إنها سرعان ما تنقلهم... فإنها تهتم بالتفاصيل، يعيشون بكرامتهم، وتتم تربيتهم، وينفق عليهم بسخاء" (الشريان، 2023، ص23-24)، فهو يُعبّرُ وفق معتقدهم، وكأنه يريد أن ينأى بنفسه عن القضية ليترك الحكم للقارئ، فكل ما يعرضه الكاتب وفقًا للبناء التركيبي للنص ليس كلامه، بل كلام الآخر، وهذه استراتيجية إقناعيه للتأثير في المتلقي وإقناعه بالرسالة التي يريد إيصالها، من خلال مخاطبة العقل تارة، والمشاعر تارة أخرى.

4- العلاقات المتتالية والسياق:

ونقصد به العلاقات بين وحدات الخطاب، ودور روابط النص باختلاف أنواعها في الربط بين كل وحدة وما يليها من وحدات، وهو ما يمكن تسميته بسبك النص في وحدة واحدة. ولم تكن الروابط وحدَها هي التي تُسهم في الربط بين المتتاليات، بل ربَط الكاتب بين المتتاليات ربطًا منطقيًّا تجاوريًّا بدون أداة ربط، معتمدًا على وحدة الموضوع والمرجعية الدِّلالية التي يُعبّر عنها التسلسل المنطقي بين المتتاليات، و"العلم الذي يهتم بالربط بين مجموعة من الجمل (جملتان أو أكثر) فهو علم البلاغة في باب الفصل والوصل،...فالقواعد الحديثة صارت تهتم بوصف الجمل، وبوصف المتتاليات على حد

سواء طالما وجدت علاقات محددة بين الجمل على النحو الذي يوجد بين الكلمات في إطار الجملة الواحدة " (أبو حامد، 2017، ص143)؛ حيث يعتمد الخطاب على نوعين من الربط (الربط الأداتي، والربط التجاوري)، كما يأتي:

- **الربط الأداتي**: يستخدم الكاتب أدوات متنوعة للربط بين الجمل:كـ(الفاء، والواو، إذا، على عكس ذلك، لو، في حين، قد، إذا قيل، من هنا، فضلًا عن، على الرغم، من هنا) (الشريان، 2023)، وهي بتنوعها وتكرار بعضها كـ(في حين أن، وحين – أكثر من خمس مرات) أحدثت تماسكًا على مستوى الدلالة والفكرة العامة، وبنت علاقةً خاصة بين الجمل، "وإذا كان النَّص متتالية من الجمل فمن الضروري أن يكون التقاء هذه الجمل التقاء قصديًّا وليس اعتباطيًّا على امتداد النص، فالعلاقات الماثلة بين هذه الجمل هي التي تشكل في النهاية بُنية النص" (يقطين، 1993، ص18) وذلك ملموسٌ في الخطاب بشدة إحكامه، وارتباط السابق منه باللاحق، والسبب بالمسبب، وهكذا.
- **الربط التجاوري:**

من الجوانب المهمة التي يتعرض لها في تحليل أي خطاب؛ الربط التجاوري، وهو: "ملفوظ طويل، أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض" (يقطين، 1993، ص17). ووجود متتالية نسيجية، وطرفين للخطاب التبليغي يعني وجود مرسل ومتلقٍ. ولا يخفى على القارئ لهذا الخطاب اتساق فقراته وأفكاره الجزئية، وذلك من عدة جوانب:

- عنوان المقال: فـ"عناوين النصوص تمثل جزءًا من البنية الكبرى؛ لأننا من خلالها نستطيع أن نعرف على نحو شامل ما الذي سوف يتم تناوله في هذه النصوص" (أبو حامد، 2017، ص166)، وذلك ما كان باختيار الكاتب عنوانًا للنص يُمثِّل بُؤرة فكرته كما سبق بيانه.
- الرابط الموضوعي: أي الوحدة الموضوعية، وهي معالجة النص لفكرة واحدة مُعينة ومكتملة، وقد كان ذلك بتدرج الأفكار الجزئية من الأخص إلى الأعم في الفقرات حتى اكتملت الفكرة.
- التدرج السياقي: فالمقال يسير في مسار معين، ونحو غاية مُحددة، ووفق خطة ليكتمل في سياقاته من أوله إلى جوهر خاتمته. ويمكننا الاستعانة برسم توضيحي يُبين السياقات التي سار عليها الشريان؛ ليصل بنا إلى هدفه، مستعينا بأبرز أسلوبين بلاغيين في نصه: (المقابلة، والاستعارة):

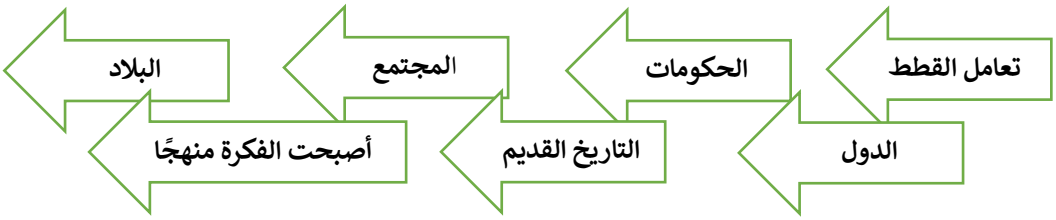

وتبرز في الخطاب استراتيجيات لغوية ذات طابع اجتماعي استعان بها الكاتب في صناعة خطابه، كاستعمال استراتيجية الكفاءة التداولية ليتواصل المرسل بها مع غيره؛ مما جعل الخطاب ينطلق من مرتكز تداولي، يحقق نفعية الخطاب، وهذا ما تؤكده (جوليا كريستيفا) التي تؤكد فكرة نفعية الخطاب والغاية منه، فترى "أنه يدل على لفظ يحتوي داخل بنياته الباث والمتلقي، مع رغبة الأول في التأثير على الثاني" (دندوقة، د.ت، ص104).

والقارئ للنص يجد أن الشريان (2023) استعان بتفاصيل الواقع الذي يعيشه جملةً وتفصيلًا؛ ليتمكن من نقل هذه الفكرة، منذ قوله: "تشتهر البسس.." (ص23) حتى "المطلب الهاجس" (ص23) فجميع السياقات كما رأينا تمثل فهم واقع المجتمع الذي يقصده الكاتب في أثناء الفترة الزمنية والمكانية الذي أُنتج فيه، وكذلك القُوى الاجتماعية وأفكارها وأهدافها ووسائلها؛ لأن هذه العوامل وغيرها هي التي تشكل بيئة الخطاب التي تعرف **بالسياق الخارجي**؛ أي: "الظروف السائدة في إنتاج النص أو العالم

الخارجي والظروف المحيطة بالمتكلم والمستمع" (كرمي وشيرازي، 2024، ص187)، وكيف تمكن الكاتب من تفسير الظروف السياسية والاجتماعية المحيطة بالخطاب؛ ليكوّن بها جوهرةَ خطابه، والتي تُمثل المواجهة بين الطبقتين: وجود السلطة وفقدانها، والأمن والخوف، والرخاء والقلة، والهوان والقوة...، وهذه المواجهة مُشبَّعة ومُعمَّقة في أنحاء الخطاب، منذ ابتدائه بعدم اهتمام القطط بمشاعر أبنائها إلى أن انتهى إلى سياسات الدول والحكومات وأصالة فكرة الطبقية التاريخية، وبذلك يتم الفهم الكامل للخطاب، لأن الكاتب أيضًا لا يُعاين حدثًا مرجعيّا فقط، بل يتأمّل آثاره، ويعاني ما ترتّب عليه، ولذلك كان السياق عنصرًا أساسيًا في عملية تحليل الخطاب؛ حيث أتى بعبارات وجمل قصيرة ومتقابلة في معظمها، لتكشف المفارقة الطبقية في المعاني الجزئية التفصيلية؛ لأن "معنى الوحدات الجزئية يتأثر بالصلات المعنوية بهذه الأجزاء في كل الأثر، فمعنى المفردة منفصلة لا ينظر إليه إلا في ارتباطه ببقية أجزاء الجملة" (كرمي وشيرازي، 2024، ص184)، واستخدامه عددًا من المفردات تعكس نظرته إلى (نحن والآخر) كـ: "تكتفي في تعاملها، سرعان ما تنقلهم، ولهذا صار الناس يقولون، تضع أولادها في فنادق...، تفرط فيما سواه تماما كما تفعل القطط، يعيشون بكرامتهم، تدرك معرفتهم" (الشريان، 2023، ص23-24)؛ لأن تسمياته تلك ليست مصادفة، فبها نستطيع الولوج إلى المعاني الضمنية وراء الخطاب؛ لأنه يحاول الكشف عن حقيقة التقابل بين الطبقات الاجتماعية من جانب، والقوى المستبدة من جانب آخر، فـ(نحن / حنَّا) الذين يتنازلون عن حقوقهم من متعة وراحة ورفاهية وتمكن، مقابل القليل مما لا يكاد يذكر مما يسمونه (الأمن)، كما يجسد طبيعة (الأخر) الباحث عن الأمن والغذاء والسكن بلغة الكاتب الصارمة والصادقة باستخدام المفردات والعبارات الدقيقة والمنتقاة، ومن ثم يتجلى في الخطاب هيمنة سلطة (الآخر) بمعانيه ومفرداته وتركيبه ومستوياته.

والمتأمل في نسج السياق يرى "أن المهيمن في النهاية ليس خطاب الاستبداد، إنما هو الخطاب الفكري؛ أي خطاب المقهورين" (كرمي وشيرازي، 2024، ص188)، وهذا ما يجعل علاقة الخطاب بالسياق علاقة وظيفية دقيقة. كما يعتقد "فركلاف بناء على وجود العلاقة بين البنيات الصغيرة (الخصائص اللغوية) والبنيات الكلية للمجتمع (البنى الاجتماعية والأيديولوجية) بأن البنى الصغيرة والخطابية بغض النظر عن تأثير البنى الكلية للمجتمع على البنى الصغيرة، من شأنها أن تؤدي إلى إعادة إنتاج البنى العامة والأيديولوجية، وبالتالي يؤدي إلى إيجاد علاقة ثنائية ومتقابلة بين النص والمجتمع" (كرمي وشيرازي، 2024، ص189-190).

وهذه اللحمة السياقية بين وحدات الخطاب منحته مزيَّة الانسجام والاتساق، فليس هناك عبارة أو جملة تنحرف عن الهدف المرجو منه، وهي مرتبطة ببعضها نسقًا وأداةً، فأتت العبارات مؤثرة في الدلالة على الحالة الثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية للأمتين.

المبحث الثالث: المستوى البلاغي

عمد الشريان في خطابه إلى الاستعانة بالأسلوب الصحفي الذي يمزج بين الأسلوب الأدبي والأسلوب العلمي؛ فيستثير المتلقين ويجذب انتباههم باستعمال المترادفات والأمثال واختيار الألفاظ الدارجة ذات الرنين القوي، وذلك مما التمسناه فيما مضى كبنية المفردات، والألفاظ العقلانية، والاحالات... وغيرها، وأما عن أسلوبه في الجانب البلاغي الإبداعي فقد وظَّف ألوانًا من البلاغة لخدمة هدفه.

وستناول ابتداء أبرز الفنون البلاغية والتي عبَّر عنها الشريان بالوصف الدقيق الشامل لفكرة: (عيال البسّة وعيال الكلب) بصورة مرئية ملحوظة عن معانٍ صريحة ودلالات ضمنية يمكن الاستدلال عليها في مواضعها، فجاءت كالتالي:

1. **الاستعارة الإدراكية:**

من الملاحظ في الخطاب توظيف العديد من المفردات، والألفاظ لتحقيق أيديولوجيا معينة من التشبيهات والاستعارات الخادمة لهدف الكاتب، وجاءت هذه الاستعارات إدراكية؛ لأنها لم ترتبط بالمعنى البلاغي والخيال الأدبي الذي يرتبط بقائلها، ولكنها مظهرٌ ثقافي عام تتأثر به اللغة (الأسمري والثقفي، 2021) ومزيّة هذه الاستعارات أنها تلعب دورًا يوازي من حيث أهميته ذلك الدور الذي تلعبه حواسنا في مباشرة إدراك العالم وممارسة تجربته، فهذه الاستعارة تقدمُ تحليلًا عامًا للكيفية التي يفهم بها الناس التصورات العادية من خلال استعارات نسقية لا ترتبط بالصور البيانية، وإنما تعكس أيديولوجيا السلطة في كل زمان ومكان.

ويمر الخطاب بخمس فقرات جميعها بُنيَت على الاستعارة الإدراكية بترتيب محكمٍ يعمُ مُجملَ الخطاب ثم يُفصّلُ في كل فقرة، ولعلنا نبينها في الجدول التالي:

رقم السطر	النص	البناء الإدراكي	البناء الأيديولوجي
9-1	"تشتهر البسس أو القطط بأنها لا تهتم بمشاعر أولادها أو رفاهيتهم.... وعلى عكس القطط تتصرف الكلاب مع أولادها بطريقة راقية مراعية مسألة الدعة..". (الشريان، 2023، ص23)	المستعار منه: تعامل الناس، المستعار له: تعامل القطط والكلاب، واستعمال وحدات لغوية كالقطط والكلب، كاستعارات يأتي من خلال دلالتها الاستعارية غير المباشرة، فالقطط ترتبط في اللاوعي الجمعي والثقافي العربي بفكرة الضعف والهوان، وكذلك الكلب الذي ارتبط في الإرث الثقافي والمعرفي العربي بالوفاء؛ حيث شبَّه الكاتب –شعوب العالم الثالث-بالقطط في الضعف والقلة، بينما شبه الشعوب المتقدمة بالكلاب في القوة والعزة...وهي استعارات مُحفزة من أجل استراتيجية تواصلية متشابهة، بقدر ما ترفع من شأن الأنا السياسية، فهي تنتقص من الآخر عبر إقصائه وإلغائه. **صورة البناء الإدراكي** لها: ما يُتعارف عليه من (هوان شأن القطط، وبأس وغلبة الكلاب).	بناء مفهوم – فكرة
12-9	"ولو أردنا أن نستخدم لغة السياحة في هذا السياق لقلنا إن الكلاب تضع أولادها في فنادق خمسة نجوم، في حين أن القطط تضع أولادها القطط في موتيلات شعبية" (الشريان،	المستعار منه: سكن القطط والكلاب، المستعار له: الفنادق، والموتيلات الشعبية؛ حيث تشبه سكن الكلاب بفنادق خمس نجوم، وشبه سكن القطط بالموتيلات الشعبية، وبناءً على فكرة الشريان، فإنها تُمد القارئ بصورة مُتصِلة بسابقتها، ومبنية عليها. **صورة البناء الإدراكي** لها: (هوان حياة القطط ومسكنها، غلبة وعز مسكن الكلاب وجماله).	المكان والهيئة

	2023، ص23).		
12-14	فلان ابن كلب	المستعار منه: الإنسان، المستعار له: الكلب؛ نتيجة لما سبق كما يرى الشريان أصبح الناس يقولون: (فلان ابن الكلب) كناية عن القدرة والعزة والذكاء. **صورة البناء الإدراكي** لها: (الكناية عن الكلب للدلالة على العزة والمنعة)، والوصول إلى نتيجة: أن الكلاب وأبناءهم أقوى وأشد وأذكى وأعز...	تقريب الفكرة بالكناية والتشبيه البليغ
15-28	"فهناك حكومات تعامل شعوبها على طريقة القطط وأخرى تعامل شعوبها على طريقة الكلاب.. المجتمع المتخلف والمجتمع المتقدم.." (الشريان، 2023، ص24).	المستعار منه: طريقة تعامل كلٍّ من القطط والكلاب..، المستعار له: تعامل الحكومات، والدول..، حتى انتهى إلى النتيجة: فأبناء الكلب يتمتعون بصحة جيدة وأجسام كبيرة، بينما أبناء القطط يتسمون بالهزال والضعف، وسلوك عيال البسّة يحترفون السرقة، ويعيشون عالة على الناس، في حين أن أولاد الكلب يعيشون بكرامتهم، وتتم تربيتهم بالمنازل، وينفق عليهم بسخاء. **صورة البناء الإدراكي**: تظهر الصورة السابقة تأثير البيئة والمجتمع والعادات والسلوكيات الدائمة في تكوين شخصية الفرد. كما تعكس بعض الأمثلة الشعبية الشائعة عما اشتهر عن القطط كقولهم: في تلاعب القطط والفهلوة والسرقة (له سبع أرواح مثل القطط، ويأكل وينكر زي القطط..)؛ إذ إن العادة والطباع تغلب على سلوك الفرد فـ(من شبَّ على شيء شاب عليه).	الأسباب، والنتائج
40-44	وحين قرأ الغربيون تاريخ العلاقة بين الكلاب والقطط عند بعض شعوب العالم الثالث اكتشفوا أن هذه الشعوب تحمل خوفًا تاريخيًا من الكلاب وأن هذا الخوف ممتد من أيام سفينة نوح عليه السلام (الشريان، 2023، ص25).	المستعار منه: تاريخ شعوب العالم الثالث، المستعار له: قصة نوح -عليه السلام- وذلك ليؤصل عمق هذه الحقيقة -الطبقية- ومعرفة التاريخ البشري بها. **صورة البناء الإدراكي**: حقيقة وأصالة الفكرة، وأنه لا مجال فيها للنقاش، فجاءت استعارة "من أيام سفينة نوح" ملفوظ تقويمي يعبّر به الكاتب عن توجّسه الدائم من هذه الحالة الدائمة.	الزمان

وعليه، فقد استطاع الشريان بهذه الاستعارة والتصوير أن يخلع مظاهر الحياة؛ بحيث تعكس أيديولوجيا السلطة في الفكرة، والزمان والمكان، والهيئة، وتمكَّن أيضًا من توجيه القارئ بإعمال الاستعارة الإدراكية التي يقول عنها الجرجاني (٢٠٠١): "اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلًا غير لازم فيكون هناك كالعارية" (ص31)؛ ولذا لم ينظر في استعارة: (عيال البسّة وعيال الكلب) على أنها مجازات مرتبطة بالخيال الشعوري والزخرف البلاغي، إنما ارتبطت بالاستعمالات اللغوية العادية التي تنصب على الألفاظ المتعامل بها،

فهي سيرورة حتمية للأفكار والمفاهيم التي تعكس أيديولوجيا السلطة، وكما بينها جورج لايكوف، ومارك جونسون (2009) حين قالا: "فنحن نهتم بالطريقة التي يفهم بها الناس تجاربهم، وننظر إلى اللغة باعتبارها مصدرًا للمعطيات التي يمكن أن تقود إلى مبادئ عامة بصدد الفهم. والمبادئ العامة تستلزم أنسقة من التصورات وليس كلمات أو تصورات فردية" (ص 127-128)؛ ولذا فهي حاضرة في كل مجال حياتنا اليومية وتبين طريقة تفكيرنا وتعاملنا؛ لذلك كانت الاستعارة آليّة أساسية في تداولية الخطاب السياسي ارتباطًا بالمحتوى الذي يقصده المتكلم في علاقته بالمتلقي، ومن هنا نشأت جماليّة الاستعارة التي تُشكل بعدًا ثقافيًا ومكونًا حجاجيًا يتجاوز أن تكون مُحسنًا لفظيًا، فضلًا عما تمتلكه الصورة من القدرة على تجسيد الخطاب وتقريبه، والتمهيد للتعبير عن الطبقية وأيديولوجيا الكاتب حول الأمن والخوف، والرفاهية والحاجة، والهوان والعزة، والذكاء والجبن...التي أشبع التعبير عنها في خطابه.

ويمكننا ملاحظة استخدام تعبيرات ذات شحنة شعورية كبيرة؛ بحيث تساعد هذه المفردات المتلقي على فهم تقنيات الكاتب الاقناعية، ومنها قوله: (تجمّل، الخنوع، متعودة واعتادت، تحب وتتعاطف، تكره وتحرم، خوف ممتد..) (الشريان، 2023)؛ وذلك لأن هذا النوع من المفردات ذات الشحنة الشعورية مقصود لارتباطه بالمشاعر والأحاسيس التي تعبر عن التجربة الفردية أو الجماعية للأفراد، كما أنها تُثير فاعلية الخطاب الشعري بحضور الوظيفة التواصلية مع المتلقي.

2. **الطباق والمقابلة**:

نُسج خطاب الشريان بنسجٍ تصوري ليصور المفارقة بين حياة القطط وهدفها، وحياة الكلاب وهدفها، مقربًا للمخاطب فكرته، ومسقطًا كثيرًا من الاستعارات على شعوب العالم الثالث. وتجلّت هذه المفارقة على شكل التكافؤ أو التضاد بين المعاني التي يبرزها نسق الألفاظ في تراكيب لغوية، مثل: (القطط والكلاب، باردًا أو حارًا، قذرًا أو نظيفًا، فنادق خمس نجوم وموبتلات شعبية، مجتمع متخلف ومجتمع متقدم، صحة جيدة وأجسام كبيرة، الهزال وصغر الحجم...إلخ) (الشريان، 2023). فالأضداد تتقابل هنا وهناك، وقد وفّق الشريان في استثمار هذه المقابلة المعنوية في خلق صورة شعرية ابتعدت عن كونها زخرفًا لفظيًا، بل صارت في أكثر الأحيان نسيجًا تقابليًا تمتزج فيه الصورة والمعنى، فتُنسجان بشكلٍ يستحيلُ معهُ فصلهما؛ لأنها شكّلت رمزًا رفيعًا للغة الكاتب الانفعالية أو الرمزية، وفيها تقابل للقيم التأثيرية لدلالة الكلمة، وبالتالي التضاد في الفكرة، وفي ذلك شد لانتباه المتلقي، وخلق نوع من القلق والتوتر حيال دلالات الألفاظ، فالتقابل مثلًا بين (باردًا أو حارًا، قذرًا أو نظيفًا..) هو تضاد في الرؤى، فكل مفردة تشتمل على شحنات تأثيرية وتبليغية في اتجاهين متضادين لتنتهي إلى دلالة كاملة عن (نحن والآخر)، أو المجتمع المتخلف والمتقدم دالةً فنية على التكافؤ والانسجام الداخلي في الخطاب كله. ومقابلة الشريان بين هذه الثنائيات جاءت بعفوية، وبنى عليها فكرة رفضه لهذه السياسية، ساعيًا لإقناع المخاطب بذلك والتأثير عليه، وبذلك اجتمع ما هو لغوي بما هو بلاغي جمالي من أجل بناء إطار دلالي مقصود.

3. **الحجاج**

دائما ما يسعى المتكلم إلى تقوية الوظيفة التأثيرية، وذلك باستمالة المتلقي؛ لأنها المسائل الضرورية لفهم الخطاب، وتفسير أهدافه ورصد الحجج والبراهين التي يستخدمها لإثبات فكرته، ومن هذه البراهين التي استعملها الشريان: الاستشهاد بالأمثال الشائعة، كقوله: (حنا عيال البسّة)، وقوله أيضًا: (سفينة نوح عليه السلام) كتعليل لتعامل الغربيين وامتدادِ حجتهم التاريخية؛ لأن حجّة التّاريخ هي الحجّة الأقوى والأقدرُ على الإقناع وتوجيه السّلوك الفرديّ والجماعيّ، وفي ذكر (سفينة نوح) إشارة إلى العواقب، و"ذكر العواقب من الآليات المباشرة وبالتالي الصريحة وهذا ما يستعمله المرسِل ليوجه المرسَل إليه وفق ما يريده هو غير مكترث بمنفعته" (الشهري، 2004، ص361)؛ إذ يدرك المخاطب أن هذا الخطاب يؤدي في تأويله إلى فهمه على أنه خطاب تحذير.

فضلًا عن أن ذكر الأمثلة تُعين الكاتب على أن "يتملص من التركيز عليها بصورة مباشرة بلباقة خاصة، ولكن يترك للقارئ إشارات تسوقه إلى الاشتباك معها، وبالتالي الاحتراز من إعادة صياغتها ثانية" (كرمي وشيرازي، 2024، ص190). ومن هنا كانت الأمثلة الشائعة حجة استراتيجية للإقناع وتقوية للروابط المنطقية بين المقدمات والنتائج أو العواقب؛ ليصل بها الكاتب إلى إقناع المتلقي بما يريد الكاتب إيصاله إليه، والتسليم بما يذهب إليه الكاتب.

ومن أساليب الحجاج أيضًا التكرار؛ إذ للتكرار اللفظي دلالته المعنوية التي تتخطى وجود اللفظة اللغوية، وهي حيلة دفاعية تستخدمها سلطة الخطاب؛ حيث تمارس ضغطًا على المتلقي، وتشكل محور اهتماماته؛ لذا يلجأ إليها من حين لآخر، وفي مجمل الخطاب نشهد التكرار في المفردات التالية:

- تكرار لفظة (القطط والكلب) تكرارًا لفظيًّا باختلاف صياغتهما من موضع لآخر في سياقات متعددة توحي بدلالة معينة؛ لتبني حقيقة ثابتة حرص الكاتب على إبرازها للمتلقي، فهي تكوّن فكرة الصراع بين (عيال البسّة وعيال الكلب) (الشريان، 2023)، وتكشف بطريقة عفوية بعض رغباته الخفية، وقد فسر النقاد هذا اللون البلاغي؛ أي التكرار بأنه: "علامة على طموحات الكاتب وهواجسه" (عصفور، 2009، ص209)؛ أي ما يهدف له، وهو رفض الطبقية، فوظّف التكرار بوصفه وسيلةً إقناعية وجد الكاتب صداها في الخطاب حتى جعلها عنوانا لكتابه.

- تكرار أسماء الاشارة، تكرر ذكر (هذا، هذه، هذين، هناك، هنا) (الشريان، 2023) أكثر من عشر مرات، وتكرارها بشكل ملحوظ يكشف إسقاط الكاتب لفكرته المعنية على غيره، ورفضه واشمئزازه منها، ودعوته للآخر بالتنبُّه إليها؛ لأنها "تُفيد معاني وافتراضات مضمرة" (القايد، 2012، ص76)؛ حيث تشير إلى سلطة الأنا وسلبه كل محاسن الآخر وإلصاق التهم والمساوئ به وتنزيه الأنا عن كل المساوئ، ومن ثَم توظيف الأنا لإثارة عاطفة جمهور المتلقين وتضليل الرأي العام.

4- التناص:

من أهم تقنيات التحليل الخطابي والأكثر استخدامًا أسلوب **التَّناص**، ويشير إلى الاقتباس من نص معين موجود بالفعل بصياغة نصٍ جديد ولكن بمعنىً مختلف يريده الكاتب. وها هنا نلمح تناصًا لدى الشريان (2023) كقوله: "حنَّا عيال البسّة" (ص23)، وهو مثلٌ قريب من المثل الشائع: (عيال البطة السوداء) (أندرسن، د.ت، ص25)، ويستخدم للإشارة إلى الأشخاص المنبوذين أو المختلفين الممارَس ضدهم اضطهاد سواء مقصود أو غير مقصود؛ ولذلك نجد الشخص يعبر عن استنكاره من الاضطهاد بهذا القول، وهذا المثل في موضعه ملائمٌ تمامًا لفكرة الشريان التي يُبين فيها اختلاف تعامل كلٍ من: (المجتمع المتقدم والمجتمع المتخلف)، وبالتالي اختلاف السياسات والحكومات مع شعوبها، وتوظيف الشريان لهذا المثل يُبرهن أننا لا يمكن أن نفهم النص ونحلله بمعزل عن النصوص الأخرى، وبه يأخذ النص صبغةً واقعية بُيولوجية ضمن السياق الاجتماعي؛ لأن "النص نسيجٌ من الاقتباسات تنحدر من منابع ثقافية متعددة" (حمودة، 2000، ص361)؛ مما يضفي عليه ميزةً خاصة. وقبول التناص يتطلب النظر إلى الخطابات النصية من إطار تاريخي؛ مما يجعل مقال الشريان أكثر جدّية وقبولًا، وهذه البُنَى المعنوية المشتركة، والخلفية المعرفية للكاتب أثارت فكرة الشريان وأكدتها بسلطة التناص، واستثارت عواطف متلقي الخطاب؛ للسخرية من هذه الفكرة ورفضها.

المبحث الرابع: المستوى الإعلامي والجماهيري

إن الخطاب هو الصلة بين الكلام والعُرف الاجتماعي، ومن هنا يَعنِي تحليل الخطاب تضمين الآلية المناسبة وتطبيقها في اكتشاف وشرح ارتباط الكلام أو النص مع الوظائف الفكرية والاجتماعية الأيديولوجية، وذلك بالنظر في سياق الموقف وفضائه التطبيقي. وهنا نسعى إلى دراسة الآثار الأيديولوجية والسياسية ومدى أثر نظام الخطاب في المجتمع، و"هل يقوم بإعادة إنتاج المجتمع، محافظًا بذلك على الوضع القائم كما هو، أم يعمل على تثوير المجتمع ومحاولة تغييره" (بكار، 2021، ص475).

وتحليل الخطاب النقدي على عكس التحليلات اللغوية التقليدية الأخرى لا يتعامل فقط مع العناصر النحوية والمعجمية التي تتكون منها الجملة كأساس رئيس لتفسير المعنى، فهو مرتبط بعوامل خارج النص، مثل النسيج الظرفي، والثقافي، والتاريخي والاجتماعي، وما إلى ذلك؛ لذا فإن للخطاب جانبًا تفاعليًا، وليس نصًا لغويًا ثابتًا.

ولو عدنا لتأمل مقال الشريان التفاعلي من أوله لوجدنا أن هناك أبعادًا تفاعلية موجهة في الخطاب، كان من أبرزها:

1. **البُعد اللغوي**: كالعامية، واللغة الصحفية، ودلالة البنية...، فقد أسهمت هذه الآلية في اكتشاف المعاني المضمرة والحقيقية للخطاب، ولا يفوتنا التذكير بأن الشريان (2023) تمكَّن من الإمساك بزمام السلطة في خطابه حينما وظَّف عنصر الأبوة؛ مما يُعلم خاصيّة دور (الأبوة) في الثقافة العربية، ودلالتها على العطف والحميمية التي تشتهر بها المجتمعات العربية، فـ"المتكلم يستغل هذا العامل المشترك بينه وبين المتلقي ليمرر أوامره الصارمة في شكل نصائح وإرشاد" (عبيدي، 2016، ص ص189-190)' وهي أيديولوجية تُسهم في التأثير على الجمهور، والهيمنة عليه.
2. **البُعد التاريخي**: فذِكرُ تعامل الدول، والسياسات ثم رمزية سفينة نوح عليه السلام، جميعها شفرة أيديولوجية تاريخية تضمنها الخطاب وتحتاج فكَّها، وفهمها لا يكون إلا بدراسة لحظة إنتاج الخطاب ولحظة تقبّله، فلا يمكن تحليله بعيدًا عن سياقه الخارجي واستحضار تاريخ وقوعه؛ ولذا فإن "تفسير المؤلف للاتجاهات الحالية ومنظوره للحوادث ونوعيّة أوصافه للعناصر المسببة للحادث له تأثير على جَودة استنتاجات المتلقي من النص وتلعب دورًا مهمًا في توجهه" (خاني وطاهري وإيوكي، 2023، ص89)، وذلك ما نراه في إسقاطات الكاتب على الرموز التاريخية، والسياسية ونحوها.
3. **البُعد الاجتماعي**: تتفاعل اللغة والمجتمع مع بعضهما، ويؤثران على بعضهما؛ فأي نص يعكس العلاقات في المجتمع، كما أن المجتمع يؤثر في إنتاج النص، ويمثل هذا البعد شكلًا من أشكال الفعل الاجتماعي ينظر إلى العلاقة بين النص والمجتمع بوصفها "علاقة مُوسَّطة (يقوم بها وسيط)؛ لأن تحليل الخطاب شكلٌ من الفعل الاجتماعي" (عبيدي، 2016، ص ص11-12). ومعرفة الشريان لخلفية المجتمعين من صورٍ اجتماعية ومواقف حياتيه مفصَّلة، ونشأة الصراعات الخفيّة بينهما واستمرارها، وانكشافها إلى السلطات السياسية، وتداولها كمنهج تعامل مع (تلك الشعوب) يرسم خطابًا إبداعيًّا تتشكل به خصائص خطابه الأيديولوجية.
4. **بُعد السلطة والأيديولوجيا**: وهذا الصنف من الخطاب يحتكم إلى المتلقي باعتباره الحلقة التي يدور حولها الخطاب الاجتماعي؛ إذ يتحول المتلقي إلى حكَمٍ ليفصل بين المتخاصمين في قضية ما، فيكتفي بداية بالاستماع إلى حجج كل فريق على حدة، وفي خضم هذا يسعى كل جانب إلى تعزيز موقفه وحججه في مقابل تفنيد ودحض حجج الجانب الآخر، "ويكون المتلقي في الصنف الأول حكمًا ينظر في حجج المتخاصمين بحياد يجعلهما يعتمدان الحجة المقنعة، والأحوال المؤثرة كما يعتمدان التأثير الأسلوبي" (العمري، 2002، ص62). وبناءً عليه، اهتم الشريان بكشف أوضاع اللامساواة المجتمعية وتغييرها، وتشكلت السلطة في خطابه بصورة قمعية، مشتملة على الأبعاد التاريخية والاجتماعية واللغوية؛ بحيث يتم تشريعها عبر الزمان والمكان والناس والسياقات.

وتظهر السلطة الفاعلة في الخطاب كما رمز لها الشريان بـ(أولاد الكلب)؛ حيث تمثل القوة الرسمية فيه بينما يقابلها القوة الشعبية الداخلية (أبناء القطط)، وبعد تتبع موقف كلٍّ منهما وأساليبه وردود فعله، ودوره الذي يقوم به... نجد أنها تفسر بعض المواقف الاجتماعية والسياسية التي ينتهجها (أولاد الكلب) مع (أبناء القطط)، بل تظهر السلطة في كل فعلٍ كلامي يحتوي أسلوبه ومفرداته على عناصر هذه السلطة.

وبعد ما سبق، فثمة سُلطاتٍ منتشرة في الموقف الاجتماعي، فالسلطة هي ممارسة، وتحديدًا ممارسة خطابية. يقول فوكو (1990): "إن الذي يجعل السلطة نافذة ومقبولة حقيقة أن السلطة لا تُفرض علينا فقط كقوة تقول "لا"، ولكنها تخترق وتُنتج أشياء وتبعث المتعة وتُكَوِّن المعرفة وتنتج الخطاب؛ لذلك يجب اعتبار السلطة كشبكة منتجة تنتشر عبر الجسد الاجتماعي أكثر من كونها حالة سالبة وظيفتها الكبت" (ص108).

ومن ثم، فإن الأبعاد والوظائف التي يقوم بها الخطاب داخل نظام استراتيجي أو سلطوي، ينتج عنها "أن السلطة ليست خارج الخطاب وليست أصل الخطاب، بل إن السلطة تعمل من خلال الخطاب" (بغورة، 2000، ص237)[1] لتصبح كيانًا قادرًا على إحداث تغيير أو العكس من ذلك، كيانًا قادرًا على الحفاظ على الوضع الراهن وإعادة إنتاجه، يقول فاركلوف (2009): "الأيديولوجيات ممثليات لجوانب من العالم، ويمكن إبانة إسهامها في إقامة العلاقات الاجتماعية المرتبطة بالسلطة والسيطرة والاستغلال، وصياغة هذه العلاقات أو تغييرها" (ص35)؛ لأنه بمجرد السيطرة على جزء من الخطاب يمكنك السيطرة على جزء من مضامينه، ومن ثم يمكنك السيطرة على عقل المتلقي.

وهذه الأبعاد أبرزت جوانب القوة التي شكلت الخطاب وأسهمت في التأثير على المتلقي، فالخطابات الإعلامية والسياسية لا تنطلق من كونها وظيفة تواصلية يريد المرسل من خلالها إيصال معلومة معينة أو تجربة إلى المتلقي، بقدر ما هي وظيفية تأثيرية ترمي إلى توجيه المتلقي، وتحديد موقف فاعليتها المتمثل في الإقناع والتأثير، والحفاظ على علاقات القوة الحالية أو العمل على تغييرها، ومن هنا يُمارَس على المتلقي نوعًا من السلطة والهيمنة.

الخاتمة

مثّل الخطاب الصحفي في مقالة: (حنَّا عيال البسّة) للكاتب الشريان، نموذجًا عاليًا من الخطاب النقدي المعبر عن طرح الصراع الفكري، استهدف به تثبيت قناعة محددة أشارت في مجملها إلى نقدٍ لاذع للمجتمع العربي، فهي صورة مُصغَّرة لجزء من الحياة الاجتماعية والسياسية وما يدور بين أفرادها من علاقات قائمة على الصراع والمفارقة في البلاد العربية. وبعد تحليل هذا الخطاب ودلالاته الكامنة فيه وأساليبه المتنوعة يمكن الخروج ببعض النتائج منها:

أولًا: على المستوى المعجمي:

1. تمكن الشريان من العبور بالعنوان من الدّلالة التصريحيّة إلى الدلالة الإيحائيّة التي كشفت عن المضمر في خطابه الذي يريد إيصاله للمتلقي.
2. أظهر الكاتب قدرته اللغوية التحويلية في استعمال البنية السطحية، فتبين أن البنية السطحية درامية وإلى حد ما تاريخية، والبنية العميقة نقدية وتعليمية.
3. تنوع الخطاب في أسلوبه اللغوي بين استعمال العربية الفصحى واللهجة العامية في مواضع معينة بهدف تحقيق استراتيجيات أيديولوجية في خطابه.
4. استعمل الشريان الألفاظ المقنعة حينًا والساخرة حينًا آخر؛ وذلك لإخراج الصورة بشكل مؤثر ومقنع من خلال استعمال لغوي مخصوص.
5. اعتمدت السلطة في الخطاب على اختيار الفعل المضارع بشكل كبير؛ للدلالة على تجدد الحدث واستمراريته في الحال والاستقبال؛ مما يُضفي على الخطاب صفة الجدة والحيوية، ولإضفاء الطابع الأيديولوجي.
6. لم تخرج الألفاظ والمفردات المختارة من الشريان عن كونها تحمل في طياتها دلالات مبطنة تسعى لتوجيه جمهور المتلقين بطريقة معينة تخدم بها السلطة أهدافها ومصالحها.

ثانيًا: على المستوى التركيبي:

1. يظهر في استخدام الجملة الاسمية غلبة استخدام صيغة الأسماء التي جاءت على نسق التضاد أو المقابلة في عموم المقال، وربما دلت على مقصد الكاتب في إثبات رؤى خاصة يريد إثباتها وتعميمها.
2. دلت صيغ الجمع المستخدمة على دلالات العموم التي يريد الكاتب إثباتها في سياقها المرجعية لجعل الخطاب على ألسنة الجميع، ومعبرًا عنهم في الحقيقة، كما وُظِّفَت هذه الإحالة داخل الخطاب؛ لتؤسس علاقات انسجام مع الطريقة التي يُمثِّل بها الكاتب البُعد الاجتماعي والأيديولوجي لفكرة الطبقية التي يحاول الكاتب إبرازها للمتلقي.
3. طغى حضور الفعل المضارع على معظم الخطاب بدلالاته التي توحي بتجدد الحدث واستمراريته في الحاضر والمستقبل.
4. تكرار استعمال ضمير الغائب يوحي بانزياح المتكلم عن المشهد، كما ينمُّ عن موقفه الرافض للفكرة، كما أن تحويل جهة الخطاب من طرف محدد إلى طرف مجهول فاعله أضفى نوعًا من الضبابية والغموض والإشكالية، فكأن الفعل لا يُفهم مصدره وسببه، ولا يُقدر عليه لغموضه وسطوته.
5. تكرار صيغ التوكيد وصيغ النفي في الخطاب جاء لغاية معينة هدف الكاتب إلى تأكيد بعض الرؤى والأفكار التي يريد إثبات حقيقتها أو نفيها.
6. اعتمد الخطاب في الربط الأداتي على أكثر من رابط وأداة، بينما هدف الربط التجاوري إلى إقناع المتلقي بفكرته من خلال عرض جمل متتابعة في جو نفسي واحد.
7. حرص الكاتب على ربط الوحدات الجزئية للمقالة؛ لتسوق كلُ فقرةٍ فقرةً تليها، وبها تكوَّن سياق ملتحم وموحد قادهُ حتمًا إلى (منهج عيال الكلب).

- **على صعيد المستوى البلاغي:**

1. وظّف الشريان العديد من المفردات لتحقيق أيديولوجيا معينة من خلال توظيف الكثير من التشبيهات، والاستعارات الإدراكية.
2. أسهم استعمال الاستعارة الإدراكية في تحقيق أفعال إنجازية تبني العلاقات كبناء جماعي.
3. أسهم استخدام الثنائيات الضدية والمقابلة بين هذه الثنائيات في إيصال فكرة رفض الكاتب لبعض السياسات والأفكار، وسعى بذلك إلى إقناع المخاطب بوجهات نظره وصحتها.
4. كان استعمال أسلوب الحجاج أهميته في الإقناع وتقوية للروابط المنطقية بين المقدمات والنتائج أو العواقب.
5. استعمل الكاتب التكرار اللفظي على مستوى المفردة والصور التعبيرية؛ وذلك لممارسة رغبته في إقناع المتلقي برسالته.
6. أسهم التناص في التأكيد على أفكار الكاتب ودعمها؛ مما عزز فرصته لإقناع المتلقي بآرائه نحو تلك القضايا التي أوردها في سياق النفي أو الإثبات.

رابعًا: على مستوى الخطاب الإعلامي والجماهيري:

1. يُعد الخطاب الإعلامي أداة لتوجيه الآراء وتكوين الرؤى والمواقف التي ترسمها المجموعات أو المؤسسات ذات السلطة الأقوى.
2. ترتبط السلطة بالخطاب ارتباطًا وثيقًا فالسلطة بدون خطاب لا يمكن أن تُمارس صلاحيتها وتحقق أهدافها، كما أن علاقات السلطة المباشرة أو غير المباشرة يُعاد إنتاجها في الخطاب وغيره.
3. كشف المقال عن عملية الصراع الاجتماعي في سياق علاقات السلطة، محاولًا فيها الشريان تحدي نظام المسيطر والمستسلم، والسعي إلى تجنب إعادة إنتاج مجتمعات كهذه.
4. كشف الخطاب النقدي عن دور المتلقي في تحديد دلالة الخطاب، فكل مُتلقٍ قادر على إعادة قراءة الخطاب، وتحديد دلالته، وتبنّي القضايا التي تناسب معتقداته، وموقفه من الأمور.
5. دل البعد الخفي للخطاب النقدي على جانب سلطوي متسلط خفيّ يُوحي برغبةٍ لدى مستعمله في الهيمنة على ساحة الخطاب من خلال دعوة ضمنية للجمهور إلى التسليم بصحة ما يقال.
6. مثّل الخطاب الإعلامي أداة لتوجيه الآراء وتكوين الرؤى والمواقف التي ترسمها المجموعات أو المؤسسات ذات السلطة الأقوى.
7. **وأخيرًا**، نخلص إلى أن الخطاب يتعدى الجمل الاعتيادية القابلة للفهم من متلق يتضمن الإخبار بمألوف وغير مألوف، لتعابير مقيدة بوظائفها الاجتماعية، والأيديولوجية؛ بحيث يقترب تحليل الخطاب من تفسير كيفية تشكّل البُنى المختلفة في خطاب وسائل الاتصال، وكيف يُفهم هذا الخطاب، ويُمثَّل في الذاكرة عبر نماذج معرفية دقيقة.

أهم التوصيات:

1. ما تزال البحوث العربية المنجزة في هذا الحقل محدودة بالمقارنة بغيرها من البيئات الأكاديمية المختلفة؛ لذا فمن المهم إجراء أبحاث تطبيقية حول عدد من النصوص القديمة أو الحديثة.
2. إجراء البحوث الكيفية والكمية وتطويرها في هذا المجال؛ لتجسير الفجوة بين لغة الصحافة وما تجيزه قواعد اللغة، وتقره مجامع اللغة العربية.

المراجع:

- ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ). (١٩٧٩). معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر.
- أبو حامد، أحمد. (2017). الخطاب والقارئ، نظريات التلقي وتحليل الخطاب وما بعد الحداثة، المكتبة العربية المعاصرة على الفيس بوك.
- الأسمري، عايض محمد، والثقفي، أشواق محسن. (2020). التحليل النقدي للخطاب الإعلامي (قضية خاشقجي بين الترائي والتواري أنموذجًا – دراسة وصفية تحليلية)، جامعة الأزهر- حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، ع24، الجزء: 12، ص ص11803-11854.
- أندرسن، هانس كريستيان. (د.ت). حكايات هانس كريستيان الخيالية، المجموعة الأولى، تحرير جيني إتش ستيكني، ترجمة دينا عادل غراب، مراجعة مصطفى محمد فؤاد، هنداوي، حكاية: "فرخ البط القبيح".
- بغورة، الزواوي. (2000). مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ط1، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- بكار، سعيد. (2012). التحليل النقدي للخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، مج 16، ع 2، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي –وزو - الجزائر، ص ص443-476.
- التميمي، جمال محمد أحمد. (2019). التحليل اللّغوي في الخطاب الصحفي، أماراباك، مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، مج 10، ع 32، ص ص87-108.
- الجرجاني، عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ). (٢٠٠١). أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- حمودة، عبدالعزيز. (2000). المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية، الكويت: سلسلة عالم المعرفة.
- خاني، فاطمة حسن وطاهري، إحسان إسماعيل وإيوكي، علي نجفي. (2023). التحليل النقدي لخطاب أصحاب الكهف في القرآن الكريم، مجلة دراسات في اللّغة العربيّة وآدابها، نصف سنويّة دوليّة محكّمة، السنة الرابعة عشرة، ع 37، ص ص79-108.
- خطابي، محمد. (1991). لسانيات النص –مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- دندوقة، فوزية. (د.ت). محاضرات تحليل الخطاب، جامعة محمد خيضر- بسكرة، الجزائر: قسم الأدب العربي.
- الريامي، علي بن حمد. (2019). تحليل الخطاب المفهوم والمنهج، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالزقازيق، مج 9، ع 2، ص ص1405-1432.
- الزليطني، محمد لطفي. (2014). من تحليل الخطاب إلى التحليل النقدي للخطاب، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو - كلية الآداب واللغات - مخبر تحليل الخطاب، ع17، ص ص9-36.
- الشريان، داود. (2023). عيال البسة، ط2، الكويت: منشورات ذات السلاسل.
- الشهري، عبدالهادي ظافر. (2004). استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة.
- عبيدي، منية. (2016). التحليل النقدي للخطاب – نماذج من الخطاب الإعلامي، ط1، عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

- عصفور، جابر. (2009). الخيال، الأسلوب، الحداثة، ط2، القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- العمري، محمد. (2002). في بلاغة الخطاب الإقناعي، ط2، المغرب: إفريقيا الشرق.
- فاركلوف، نورمان. (2009). تحليل الخطاب (التحليل النصي في البحث الاجتماعي)، ترجمة: طلال وهبه، مراجعة: نجوى نصر، ط1، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- فوداك، روث، مايير مشيل. (2014). مناهج التحليل النقدي للخطاب، ترجمة: حسام أحمد فرج، عزة شبلا محمد، مراجعة وتقديم: عماد عبداللطيف، ط1، القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- فوكو، ميشال. (1990). إرادة المعرفة، ترجمة جورج أبي صالح، ط1، بيروت: مركز الإنماء القومي.
- فيركلف، نورمان. (2016). اللغة والسلطة، ترجمة محمد عناني، ط1، القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- القايد، عبدالله. (2021). أدوات التحليل المقدي للخطاب محاولة لاستكشاف إستراتيجيات السلطة في الخطاب، مجلة أوراق لسانية الفصلية المحكمة، الناشر، جمعية اللسانيين العراقيين، مج 1، ع 1، ص ص53- 72.
- كرمي، عسكر علي، وشيرازي، ريحانة. (2024). تحليل الخطاب النقدي لرواية (ريح الجنوب) لعبدالحميد هودقة معتمدًا على نظرية (نورمن فركلاف)، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو - كلية الآداب واللغات - مخبر تحليل الخطاب، مج 19، ع1، ص ص173- 169.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت1094هـ- 1683م). (1998). الكليات، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- لايكوف، جورج وجونسون، مارك. (2009). الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبدالمجيد جحفة، ط2، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.
- الملاخ، محمد. (2019). التحليل النقدي للخطاب ونقاده روث بريز، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع 23 رجب، 1440هـ، ص ص291-365.
- يقطين، سعيد. (1993). تحليل الرواية، الزمن، السرد، التبئير، ط2، بيروت: المركز الثقافي العربي.